ترجمة لكتاب:

-----

# رؤية للسماء والجحيم

**A Vision of Heaven and Hell**

رآها مواطن يوغوسلافي

اسمه "دوزان جوفانوفيتش Dusan Jovanovic"

في 11 يوليو سنة 1976م.

[طُبِع بالإنجليزية سنة 1983، وتُرجِم إلى العربية سنة 1991م].

## مقدمة الناشر:

قبل هذه الطبعة بستة أشهر علمتُ أنّ حدثًا غير عادي غيّر حياة "دوزان جوفانوفيتش"، فقد وُهِب له أن يرى رؤيةً رُفِع فيها إلى السماء ثم أُنزل إلى الجحيم. وقد أنارتني هذه الرواية بتأثيرها الشديد عليَّ، وفي الحال طلبتُ من صديقي أن يسمح بترجمتها من اللغة الصربية (نسبةً إلى "الصرب" إحدى ولايات يوغوسلافيا السابقة)، لكي تُنشَر باللغة الإنجليزية، ففعل ذلك بمساعدة العديد من الصربيين الذين لم يشاءوا ذكر أسمائهم. وأنا أشكرهم جميعًا على مجهوداتهم الفورية والمخلصة.

وتُعتبر خبرة "دوزان" في رؤيته للمجال السماوي لي أنا بمثابة واحدة من أكثر الرؤى المليئة بالتفاصيل التي مُنِحت لإنسان علماني في عصرنا هذا. وأنا أثق أنّ القارئ سينتفع من هذا الكتاب، لأنّ بين دفتيه يوجد الحق المقدس الخاص بالحياة الآتية للبشرية كلها. وإنها لحقيقة محزنة أنه عندما يتحدث إنسان ليعرِّف الآخرين بالدهر الآتي يغيِّر كثير من الناس مجرى الحديث، مع أننا جميعًا سنموت، كل واحدٍ منا سيجتاز هذه الخبرة: العبور من هذا العالم. والمستعدون روحيًا كم هم قليلون؟ إننا في أي وقت قد نواجه الموت، ولهذا السبب

نُشِر هذا الكتاب، ليس لربح مادي بل لكي يعلم القارئ بما ينتظرنا في الدهر الآتي.

نرجوك أن تقرأ هذا الكتاب بذهن واعٍ، في مكان هادئ، بدون شرب قهوة مركّزة أو تدخين، وتعامل مع موضوعه بشعور من التوقير.

بارك يا رب.

**الناشر:**

Alec Kameneu أليك كامينيو

==========

**تقديم: معجزة في أيامنا الحاضرة:**

إنّ الحدث الذي يصــفه هذا الكتيب لَهو خبرة لدوزان هذا بينما كان في طريقه من مدينة "كراجوجيفاك Kragujevac" إلى "ماتاروسكا بانجا Mataruska Banja" في وسط ولاية الصرب. وكان دوزان مريض حربٍ ذاهبًا إلى هناك للعلاج. وكان الطريق الذي سافر فيه يؤدِّي أيضًا إلى دير صربي قديم من القرون الوسطى اسمه "دير زيتشا Zicha".

وكان كاتب هذه القصـــة، دوزان، ملحدًا، إذ لم يكن يؤمن بالله، وكان يتجاهل التقليد الصربي الأرثوذكسي الخاص بالاحتفال بـــ "سلافا Slava"، أي اليوم الخاص باسم القديس الذي تختاره الأســرة ليكون شــفيعها عند الرب يســوع المســيح. وكانت شــفيعة أســرته هي القديســـة "بتكا Petka" باللغة الصــربية أو "باراســكيفا Paraskeva" باللغتين اليونانية والروســية. وأثناء رحلته أكمل عملاً يدل على محبة غير عادية لأنه كان عادلاً شــفوقًا مما جعله يُكافَأ برؤيةٍ للسماء وجهنم.

أما دير "زيتشـــا" أو "زيخا"، فكان قد أُسِّـــس ســـنة 1219م، وكان هو كرســـي أول رئيس أساقفة صربي: القديس "سـافا". ثم نُقِل هذا الكرسي إلى دير الرسل القديسين في مدينة "بيك" حيث عُرِف ببطريركية "بيك"، ثم صار دير زيتشا هو كرسي إيبارشية زيتشا.

أمّا الأُمّ البارة القديســـة بتكا باراســـكيفا التي ذكرناها، والتي ســـتُذكر في الرؤية، فهي من مواليد الصرب في مدينة "إبيفات" من والدين يخافان الله، وكان لها أخ هو الأسقف الشهير "ماديتســـكي". وقد بدأت القديســـة باراســـكيفا جهاداتها النســـكية في بيت والديها ثم في القسـطنطينية (اسـتامبول الآن)، وأخيرًا في برية الأردن حيث ظلّت فيها حتى شـاخت. وقبل موتها تلقّت وصيةً في رؤيةٍ أن تترك البرية وتعود إلى المدينة مسقط رأسها، وهناك في "إبيفات" عاشـت سـنتين أخريتين في صـوم وصـلاة، ثم انتقلت إلى الرب في وقتٍ ما في القرن الحادي عشر. وقد نُقِلَت رُفاتها المقدسة إلى القسطنطينية ومنها إلى "بلجراد" (عاصمة يوغوسلافيا السابقة). أمّا الآن فقد استقرت هذه الرُفات في "ياسو" في رومانيا.

والاحتفال بيوم "سلافا" هو أهم شيء يعبِّر عن الإيمان الأرثوذكسي بين الشعب الصربي، وهذه العادة ترجع إلى وقت اعتناقهم للمســيحية. وبناءً على كلمات الرســول بولس تُعتبر الأسرة المسيحية كنيسة صغيرة (أُنظر فل1: 2)، هكذا أيضًا كل أسرة صربية تعتبر نفسها تحت حماية أحد القديسين الذي تكرّمه وتحتفل في يوم ذكراه احتفال "السلافا". ويظل هذا القديس هو شفيع الأجيال التالية أيضًا لهذه الأسرة، وهذا يعبِّر عن إيمان عميق بالله الذي هو «ممجَّد في قديسيه» (خر15: 11 حسب السبعينية).

⌘☯⌘

**في الطريق إلى العلاج: مقابلة غير متوقعة:**

ســـأحاول بقدر المســـتطاع أن أجعل روايتي عن الخبرة التي اجتزتُها يوم 11 يوليو ســـنة 1976م كاملة، وذلك عندما كان عمري 48 ســـنة. وكنتيجة لهذا الاختبار تغيّرت حياتي تغييرًا كاملاً.

كنتُ أذهب كمريض مصـابٍ بسـبب الحرب كل سـنة إلى أحد منتجعات (مسـتشـفيات) المياه المعدنية للعلاج في منطقةٍ اسـمها "ماتاروسـكا بانجا (بانيا)" في الفترة من آخر يونيو حتى حوالي منتصـف يوليو حيث كان مأواي في فندق "زيتشـا". ولكنني رجعتُ إلى بلدتي التي أسـكن فيها يوم 9 يوليو لحضور الذكرى السنوية الأولى لرحيل أحد الأقارب.

وفي يوم 11 يوليو نحو السـاعة 10 صـباحًا بدأتُ سـفري مرةً أخرى إلى "بانيا" بسـيارتي لاسـتئناف العلاج. ولما وصـلتُ إلى الكوبري الذي على نهر "إيبار" في "كراليفو Kraljevo" كانت حركة المرور بطيئة بسـبب وقوع حادث على الطريق. وبعد الكوبري كانت توجد محطة أوتوبيس للمسـافرين إلى زيتشـا وإلى بانيا. وكان بين المنتظرين على المحطة راهبٌ وراهبةٌ مثيران للانتباه بسـبب مظهرهما المبهج، ولما اقتربتُ - أثناء حركة المرور البطيئة - نظرتُ إلى الراهب الذي بدا طوله متوسطًا وعمره نحو سبعين سنة ولحيته بيضاء مجعّدة، ولكن ليونة حركاته جعلته يبدو كأنه في الخمسـين من عمره. وكان يرتدي "فاراجية" جديدة سـوداء وغطاءً على رأسه (اسمه عندهم Kamilevka) وشالاً أسود يتدلّى على ظهره، ومعلَّقٌ على صدره صليبٌ لامعٌ بسلسلة، وتحمل سلسلة أخرى شيئًا مثل ميدالية أو أيقونة صغيرة بها صورة تشبه والدة الإله حاملةً طفلاً.

والراهبة التي بجواره كانت ترتدي ثوبًا طويلاً أسـود وعلى رأسـها نفس الغطاء "Kamilevka" وطرحة تصـل إلى كتفيها. طول الراهبة متوسـط وعيناها كبيرتان مسـتديرتان، ومظهرها بهي

جدًا. وكانت تلبس حول عنقها هي أيضًــا صــليبًا لامعًا وميدالية (أو أيقونة) مماثلة للراهب. وكل هذه الأشياء كانت برّاقة تعكس ضوء الشمس.

حاول الراهبان إيقاف أيّة ســيارةٍ بإشــارةٍ من يديهما أثناء التدفُّق البطيء للســيارات، ولكن بلا طائل، إذ لم يرغب أي واحدٍ أن يتوقف لهما رغم أنّ ســيارات كثيرة كانت بها أماكن للركاب. وقد أدنتُ في قلبي هؤلاء الذين لم يتوقفوا لهما، وقلتُ في نفسـي: "لماذا؟ أَليس الرهبان هم أيضًــا بشـرٌ مثلنا؟ فلماذا يُشيح كلٌ منهم بوجهه عنهما"؟ وأحسستُ أنّ هذا النفور الشائع من الرهبان[1] أكثر من أن يُحتمل. لذلك قررتُ أن أتوقف للراهبين ليركبا معي إن لم يفعل ذلك أحدٌ قبلي. وفعلاً لوّحا بيديهما لي فتوقفتُ لهما على جانب الطريق. ثم اقترب الراهب من ســيارتي وحيّاني قائلاً: "الله يحفظك"، فأجبتُ: "الله يعينكما".

لم يكن من عادتي أن أُحيّي الناس بهذه الطريقة لأنني لم أكن أومن بالله، ولكنني أردتُ أن أسِرّهما فحسب، ثم سألاني إن كان يمكنني أن أصطحبهما إلى دير "زيتشا"، فوافقتُ وفتحتُ لهما باب الســيارة، ثم دخلَتْ الراهبة بعد أن حيّتني وأجبتها بنفس الطريقة، وتبعها الراهب، وجلســا في المقعد الخلفي. طلبتُ أن يجلس أحدهما في المقعد الأمامي (بجواري)، فأجاب الراهب: "إننا، يا دوزان! لسنا متضايقين، قُدْ السيارة ولا تهتم".

إزاء هذه الإجابة لزمتُ الصمت. ولما أخذتُ دوري بين السيارات سألني الراهب: "يا دوزان، أَأنتَ قادمٌ من "كراجوجيفاك" من جنّاز الســنة"؟! إنه في الواقع بهذا الســؤال قد أجاب على نفسه، وأنا كنتُ مندهشًا: كيف عرف اسمي والمكان الذي أتيتُ منه؟! وفي حيرتي قلتُ: "نعم، أنا آتٍ من "كراجوجيفاك"، وبالأمس احتفلتُ بذكرى الســنة الأولى لانتقال أحد أقاربي". ثم قال: "وكيف أنت ذاهبٌ إلى "بنجا (بانيا)" التي لم تســتحم فيها إطلاقًا"؟"فأجبته: إنني أخاف

(1) بسبب الاتجاهات الإلحادية الناتجة عن الشيوعية التي كانت سائدة في المنطقة في ذلك الوقت.

أن أستحم لأنّ مياه بانيا ساخنة جدًا وربما أُصابُ بالبرد مما يجعلني في حالةٍ أسوأ من التي جئتُ بها".

ثم سألتني الراهبة: "يا دوزان، أين وُلِدت؟ في "زاكوتا""؟ وهي أيضًا أجابت على نفسها كما فعل الراهب. ثم أكملت كلامها: "يا دوزان، جميع أفراد أسرتك على قيد الحياة، وهم بخير: والدك "ديمتري" ووالدتك "دارنكا" وأختك "دوزنكا" وأخوك "دراجُلجوب". إنهم يؤمنون بالله ويحتفلون بالـ Slava، إلاّ أنهم غير ثابتين ومترددون، وعندما يغضبون يشتمون جميع الكائنات السماوية. وأخوك "ميلوفان" عنده شهادة عالية في مجال تخصصي، ولكنه من كبار الملحدين"!

ثم أكمل الراهب قائلاً: "وأنت يا دوزان، أكثر ميلاً إلى الإيمان بأنّ الإنسان خلقه الله بدلاً من كونه من سلالة القرود، إلاّ أنك لا تصلِّي ولا تتجه نحو الله إطلاقًا رغم أنّ قلبك طيّع ولك إحساس بالكرامة. في ثلاث فرص كان يمكنك أن تحصل على ثروة كبيرة ولكنك لم تفعل لأنها كانت بوسائل غير شريفة. إنك متحنِّن نحو الشيوخ والبؤساء. لقد دفعتك طبيعتك النبيلة أن تقف لنا وتتجاوب مع تحيتنا الإلهية وتصطحبنا في سيارتك، إنك مباركٌ لوقوفك هذا، ولكن الويل لأولئك الذين رفضوا، الذين أشاحوا بوجوههم عنا وبصقوا، كان خيرًا لهم لو لم يولدوا"!

ولم يكن معنى كل ذلك خافيًا عليَّ تمامًا، إلاّ أنني شعرتُ بخوفٍ شديدٍ وبدأتُ ارتعد، وأردتُ أن أزيد من سرعتي لكي أصل إلى الدير بأسرعِ ما يمكن لولا حركة المرور التي أجبرتني على الإبطاء. وكان عليَّ أن أقود سيارتي بكل عنايةٍ، وكنتُ كثيرًا ما أنظر إلى المرآة التي أمامي بسبب السائقين غير الصابرين الآتين خلفي. ثم رأيتُ في المرآة فجأةً منظرًا لم يكن متوقعًا: رأيتُ وجهَي الراهب والراهبة الجالسين في المقعد الخلفي منيرين ببريق، وتحيط بهما هالتان

من نور مصمت (أي ليس فيه منفذ)، فارتعبتُ من الخوف إذ شعرتُ أنهما ليسا من البشر العاديين!

بسبب هذه الاختبارات الفائقة التي كنتُ أمرُّ بها مع رفيقيَّ في السفر بدأ انتباهي لقيادة السيارة يضعف، وصرتُ أقودها بصعوبةٍ، وقد أبطأتُ أكثر مما تسمح به حالة المرور. وأثناء ذلك تناوب الراهب والراهبة مع بعضهما في استعادة قصة حياتي كلها حتى هذا اليوم، فقد رويا لي كل شيء فعلته الصالح منه والرديء، حتى تلك المخططات التي لم يعرفها أحدٌ غيري، والتي كنتُ قد تخلّيتُ عنها في وقتٍ ما. وكانت دهشتي هي من أنّ كل ما روياه كان مضبوطًا بدقةٍ وكأنهما كانا يقرآن من كتاب. وقد مدحاني على الأمور الصالحة، أما الأمور المخزية فقد عاتباني عليها بطريقةٍ رقيقة. أمّا أنا فمن الخوف والخجل لم أعرف ماذا أفعل مع نفسي، لقد تمنيتُ لو انشقت الأرض وابتلعتني، أو أنّ أي شيءٍ آخر يحدث لمجرد أن أهرب من معاناة الإصغاء إليهما، ولكنه لم يوجد مفرٌّ، فكان عليَّ أن أُصغي وأحتمل كل هذا!

لا يمكنني أن أذكر هنا الأمور المخزية التي عاتباني عليها، لأنها ذات طبيعة خاصة جدًا - وقد اعترفتُ بها بعد ذلك وتُبتُ عنها - ولكنني سأذكر بالتفصيل - كدرس نافع للآخرين - أحد الأمور التي عاتبتني عليها الراهبة قائلةً: "يا دوزان، لماذا لم ترغب أن تكلِّم والدك عندما كنتما معًا في عيد ميلاد ابن عمك "ديسا""؟ فأجبتُ هنا بما حدث بالفعل قائلاً: "لقد تجاهلني أبي بالمقارنة ببقية أولاده، فموقفه نحونا لم يكن صائبًا، لذلك أردتُ بهذا التصرُّف أن أُظهِر له كم أنني كنتُ مشمئزًّا من ذلك". فقالت لي: "مَنْ أنت ومَنْ نحن حتى ندين؟ الله هو الذي يدين ويحكم بالعدل! ومِنْ وصايا الله أن نكرّم الأب والأم مع وعدٍ بمكافأة الذين يحفظون وصيته هذه بأن تطول أعمارهم ويعيشون حياةً سعيدة على الأرض. إنّ الوالدين هما بمثابة ذخيرة أرضية لأولادهم، ولكنه شيءٌ مباركٌ أن يكون لك قلبٌ ليّنٌ، فعندما شعرتَ بالأسف نحو

والدك ذهبتَ إليه في اليوم التالي واحتضـــنته وقبّلته وطلبتَ منه الغفران، فصـــاح والدك بفرحٍ وقال لك: 'سامحتك يا ابني' ".

وقد ظللتُ صــامتًا لأنّ كل ما ذكَرْتَه لي كان صــائبًا تمامًا. ولما اقترينا من دير زيتشـــا قال لي الراهب: "يا دوزان، إنّ ما حدث لك الآن **وما ســيحدث لك اليوم** لا تُخبر به أحدًا لمدة ثلاثة شــهور، وبعد هذه المدة يمكنك أن تُخبر به أســرتك وأصــدقاءك فقط". فقلتُ: "حســنًا". ثم نظرتُ إلى المرآة مرةً أخرى لكي أرى ما إذا كان يمكنني أن أتجـه نحو موقف الـدير، فلمحـتُ الراهبين مرةً أخرى فصُعقتُ ودُهِشتُ لرؤية الهالتين حول رأسيهما!

بســبب كل هذه الأحداث كانت حالتي الذهنية مُجهَدة بشــكل خطير، وشــعرتُ بإلحاح لا يُقاوَم بمفارقة هذين المســافرين بأسـرع ما يمكن. كانت في الموقف أمام الدير سـيارات قليلة، وكانت هناك مجموعة كبيرة من السياح الزائرين، فأوقفتُ السيارة أمام سور الدير وخرجتُ منها لكي أفتح بابها لرفيقيَّ في الســـفر، ولم أكن مهيَّأً لما حدث حينئذٍ وجعلني أُصــعَق: إذ لما نظرتُ إلى داخل العربة لم أجد أحدًا!! وهكذا هزّتني موجةٌ أخرى من الخوف.

ظللتُ أنظر إلى الباب المفتوح والباب المغلق من الجانب الآخر ولم أســتطع أن أصـــدِّق عينيَّ، ونظرتُ مرات أخرى بكل عنايةٍ ولكن لم يوجد أحد بالعربة، فانتابتني ريبةٌ وخوفٌ ورعدةٌ سـيطرت على كياني كله، وملَكَت على نفسي نوبةٌ من الشك وعدم التصديق، وخفتُ أن أكون قد جُننتُ. ولكي أتأكد من أنني في عالم الحقيقة (وليس في حلم) بدأتُ أعضّ ذراعيَّ وأشـدّ شـعري وألطم على وجهي بشـدّة. وأثناء رعبتي هذه لم أدر أنّ جمهورًا من الناس كانوا قد التفوا حولي، واســتطعتُ أن أســمع بعضــهم يســألني عما حدث لي، ولماذا كنتُ أضــرب وأعضّ نفســي؟! لقد كنتُ في حالةٍ مرعبةٍ، وكنتُ أرتعش كما من حمّى عنيفة، وكل ما قلته لهم: "اِبعدوا عني من فضلكم"!

مشيتُ بعيدًا عن هؤلاء الناس رغبةً مني في أن أخلو لنفسي لعل ذهني يجد بعض الهدوء، ووجدتُ أن الساعة كانت الحادية عشر والنصف صباحًا. ثم بدأتُ أستعيد كل كلمةٍ قالها لي هذان الرفيقان منذ اللحظة التي اصطحبتهما فيها معي حتى هنا حيث اختفيا بطريقةٍ لا يمكن تفسيرها، وكان أكثر شيء لصق بذهني من كل ما حدث هو كلامهما المحيِّر لي: إنه عليَّ ألاّ أخبر أحدًا بما حدث ولا بما سيحدث لي خلال ذلك اليوم لمدة ثلاثة أشهر قادمة. وفي هياج شديد بدأتُ أكلّم نفسي بصوتٍ عال: "يا إلهي! ماذا يمكن أن يحدث لي أيضًا؟ إنني ذاهبٌ إلى "بانيا Banja" ولن آخذ وجبة غذاء، سأذهب مباشرةً إلى الفراش لأستريح، فماذا يمكن أن يحدث لي"؟ وظللتُ أسأل نفسي هكذا بصوتٍ عال: "أَلعلّي سأموت"؟ ولكنني تذكّرتُ حينئذٍ أن الميت لا يمكنه أن يتكلم، لأنهما قالا لي ألاّ أخبر أحدًا بذلك إلاّ بعد ثلاثة شهور، وقد جعلني هذا الاستنتاج أشعر ببعض الراحة، بل كأنني كنتُ أضحك على نفسي لأنني منذ لحظةٍ كنتُ خائفًا خوف الموت على حياتي. لقد كانت حالتي في الواقع لا تمكِّنني من أن أفهم شيئًا مما حدث.

وبعد راحةٍ قصيرةٍ استأنفتُ رحلتي إلى "ماتاروسكا بانيا"، وحتى يومنا هذا لم يتضح لي كيف أمكنني في هذه الحالة من الاضطراب أن أكمِّل هذه الرحلة من زيتشا إلى بانيا. ورغم شعوري بالقلق وتفكُّك الأوصال والتعب الشديد، فقد وصلتُ إلى بانيا بسلام. وعند الظهر (الساعة 12) رأيتُ في طريقي بعض الغرباء يدخلون قاعة طعام فندق زيتشا لتناول الغذاء، ولكنني لم أشعر بالجوع إذ كنتُ لا أبتغي إلاّ الراحة والانفراد لكي أتمكّن من التفكير.

**في الطريق إلى السماء بصحبة الملاك:**

اِضطجعتُ على السرير دون أن أخلع ملابسي، وبسرعةٍ شعرتُ بألمٍ عنيفٍ في وسط صدري، وتبع ذلك شيء مثل وخز الإبرة في قلبي، ثم غلبني النعاس بالكامل ... **وما حدث بعد**

**ذلك كان حقيقيًا** وأعظم من أية حقيقةٍ أخرى: لقد فُتِح باب حجرتي على مصـراعيه، واستضاءت الحجرة بنور قوي، ودخل فيها ملاك بجناحين، لقد كان ذا جمال فائق ويرتدي ثوبًا طويلاً مشعًّا وفوقه ثوبٌ آخر أكثر إشعاعًا وبلا أكمام (كالبرنس)، وفي قدميه مثل صندل رسولي. جاء الملاك إليَّ وقال: "يا دوزان، قم إننا ذاهبان في رحلة". فأطعتُ وقمت، وعندما كنا على وشك الرحيل قال لي: "يا دوزان، هذا حظك أنك كنتَ منفتحًا لله وأنك توقّفتَ للراهب والراهبة. أَتعلم مَنْ هما اللذان كانا في عربتك"؟ فهززتُ كتفيَّ وكنتُ على وشك أن أُجيب بالنفي، فقال الملاك: "لقد كنتَ تصطحب معك الرسول القديس بطرس والقديسة "بتكا باراسكيفا" شفيعتكم"! فتذكّرتُ في الحال أنّ والدي كان يحتفل بهذه القديسة، وصار الشخصان اللذان كانا في عربتي واضحين أمامي.

ثم اقتادني الملاك خارج الغرفة وبدأنا نصعد التلّ عن يسار القادم من زيتشا إلى بانيا، وبعد قليل قال الملاك: "يا دوزان، إنك تعمل بين الناس وكثيرًا ما تكون في صحبة آخرين، وأنتم جميعًا تقولون إنّ كل ما للإنسان هو ما يأكله ويشربه ويلبسه وما يسرّه أثناء حياته، وعندما يموت فكل ما يحتاجه هو مترين من الأرض مع قليل من التراب فوقها، وهذا هو كل شيء. إنني أريدك أن تعلم، يا دوزان، أنّ الموت ليس هو نهاية الحياة، إنه فقط باب وموقف (أو محطة) يجب أن يمرّ به كل إنسان. لقد خلق الله الإنسان من تراب ونفخ روحه فيه فصار نفسًا حيّة".

ولما أكمل الملاك هذا الكلام كنا قد وصلنا إلى قمّة التلّ، وفي نفس اللحظة نزلت أمامنا سحابة كثيفة على الأرض وقادني الملاك إلى داخلها، وبدأت السحابة في الحال ترتفع بنا إلى أعلى، وبينما كانت تحملنا استأنف الملاك كلامه: "يا دوزان، إنك بقلبك الطيب الذي يحب العدل والإخلاص قد وجدتَ رحمةً عظيمةً أمام الله حتى إنّ الطريق الحقيقي الوحيد إلى

الخلاص سـوف يُظهَر لك". ثم توقفت السـحابة عن الحركة وقال الملاك: "أُنظر إلى الأرض". فنظرتُ، ثم سـألني: "ماذا ترى"؟ فقلتُ: "أرى الأرض كلها: الدول والمدن والقرى والأنهار والبحار والحيوانات والناس ووجوههم، يمكنني أن أرى كل هذا بوضـوح". ثم رأيتُ خلف الملاك ثلاثة صفوف من الملائكة وفي أيديهم أبواق، وكانوا يشعُّون بنور فائق كثيف ويستحيل وصف جمالهم!

ثم قال لي مرشـدي الملاك: "يا دوزان، أُنظر نحو الأرض والعلامة التي على أبواق الملائكة، فسـترى ما يشـبه قيامة الموتى عندما يأتي ربنا يسـوع المسـيح إلى الأرض ليدين الأحياء والأموات". فلما نظرتُ نحو الأرض نفخ الملائكة في أبواقهم، وفي تلك اللحظة بدأت قبورٌ في الأرض كلها تنفتح وبدأ الموتى يخرجون منها، فاندهشـتُ. ثم صارت دهشـتي بلا حدود عندما رأيتُ أناسًـا: نسـاءً ورجالاً وأطفالاً يخرجون من الأنهار والبحار والبحيرات والنيران ومن أفواه الحيوانات، ومن جميع الوسائل الأخرى التي ماتوا بـها. لم أستطع أن أتكلم إزاء هذا المنظر، ولكن الملاك صـاح بي قائلاً: "يا دوزان، لماذا أنت متعجِّبٌ؟ مهما كانت الطريقة التي انتهت بها حياة أي شخص على الأرض فهو سيعود إلى الحياة على صوت الأبواق بصرف النظر عما إذا كان قد ابتلعه الماء أو احترق بنار أو أكلته حيوانات، لأنّ كل شـيء ممكن لدى الله، لأنّ عند الله لا يوجد أموات بل الجميع عنده أحياء".

ثم لاحظتُ شـيئًا آخر تعجبتُ منه، فقد كانت على رأس كل واحدٍ (من القائمين من الموت) قطعة ورق عليها كتابة معينة، وبعضـها عليه كتابة أكثر من البعض الآخر، فتعجبتُ مما يمكن أن يكون مكتوبًا على رأس كل واحد. ورغم أنني لم أسأل ولكن الملاك قال لي: "هذه هي أعمالهم منذ الوقت الذي عاشـوا فيه على الأرض، وبهذه الأعمال يأتون أمام الرب يسـوع المسـيح، وبناءً عليها سـيُحاكَمون"! كما أنه ذكر لي أنه حتى أفكارهم مكتوبة على هذا الورق وأنه لا شـيء يمكن أن

يُخفَى. ورأيتُ بين الذين خرجوا من القبور أقربائي وأصـدقائي وجيراني وكثيرين ممن تعرّفتُ عليهم وتذكّرتهم. لقد كنتُ سـعيدًا برؤيتهم وهم كانوا سـعداء برؤيتي، وقد مدّوا أذرعهم وكلّموني، ولكنني لم أفهم كلامهم! ولما نظرتُ إلى أقاربي وأصدقائي استنتجتُ أنّ الأُسَر كانت على مجموعات، أي أنّ كل أسرةٍ يجتمع أفرادها معًا، لأنهم كانوا يقفون وراء بعضهم بعضًـا. ثم قال لي الملاك: "سـنتحرك الآن إلى أبعد من ذلك، ولكننا سنعود إلى هذا المكان".

**... ثم في السماء ذاتها:**

بعد كلام الملاك هذا أخذتنا السـحابة نحو الشـرق وارتفعت بنا أكثر، وإذ بي أرى جماهير من الناس كأنهم ظلال، يشـعّون بالنور، ويتحركون في جميع الاتجاهات، ويمكن رؤية أذرعهم وأياديهم وأرجلهم ورؤوسـهم ووجوههم بوضـوح، فتعجبتُ من ذلك، فمَنْ يكون هؤلاء الذين يتحركون في الفضـاء؟ وإذ أدرك الملاك أفكاري أجاب عليها قائلاً: "هؤلاء ليسـوا أناسًـا بل نفوس أناس، ولأنّ الله نور والإنسـان خُلِق من تراب الأرض، فقد نفخ الله روحه في الإنسـان فصـار نفسًـا حيّة، لذلك فإنّ النفوس تشـعّ بالنور. والنفس عندما تفارق جسـد الإنسـان تحتفظ بالنظر والسـمع والكلام والذاكرة وبعض الأحاسـيس الأخرى التي كانت لديها لما كانت في الجسد".

كما أنه ذكر لي أنّ النفس توجد في كل جزء من جسد الإنسان، وأنّ النفس هي التي تحرِّك التركيب أو النظام العضوي كله، فحيث لا توجد النفس لا توجد حياة في الجسد. ثم شرح لي أيضًا أنه عندما تفارق النفس الجسد تمرّ لمدة أربعين يومًا على كل حياتها الأرضية حيث ترى كل ما فعلته وقالته وفكّرت فيه، وبعد الأربعين يومًا تُرفَع إلى السـماء للدينونة التي تذهب بعدها إلى المكان الذي تسـتحقه. وبهذه الملاحظات عن قيامة الموتى ونفوس البشـر اختُتم الحديث.

وأخذتنا السحابة إلى أعلى نحو المناطق العليا. لقد سافرنا في الفضاء، وأنا أستعمل هذا التعبير بالمعنى العام لأنني لستُ كُفءًا أن أصف ما تشبهه هذه الأماكن. إنّ منظرها المعقَّد والمخيف قد أصابني بخوفٍ لا يوصف، لذلك كنتُ ملتصقًا بالملاك بقوة.

ثم خمد عذاب خوفي هذا عندما وصلنا إلى مكان صافٍ جميل عليه حاجز مثل السور لا تُرَى له بداية ولا نهاية، وفي هذا السور بوّابة على شكل صليب، ويقف عن يمين البوّابة ملاكٌ حارس، والسور مع البوّابة مزيَّنان ومضيئان بجمال لا يُصدَّق. عند هذا الموقف أو المحطة - لا أعرف ماذا أسميه - كانت هناك العديد من تلك النفوس التي رأيتها سابقًا تتحرك في الفضاء، وكان بعضهم يشعُّ نورًا أكثر من الآخرين، وحولهم جماهير من الملائكة وأعداد هائلة من الشياطين ذات أشكال قبيحة مختلفة. وكان الشياطين يحاولون أن يخترقوا طريق النفوس التي سمحت لها الملائكة أن تدخل من البوابة. ولم استطع أن أفهم شيئًا مما أراه، وسألتُ نفسي: "لماذا تقف بعض النفوس جماعات جماعات؟ ولماذا هذا؟ ولماذا ذاك؟ ولكن مرشدي الملاك - دون أن أسأل - شرح لي قائلاً: "يا دوزان، لو أنك أُخبِرتَ بكل شيء من هذه الأمور لما أمكنك أن تحتمل"!

ثم اقتادني الملاك داخل البوابة، وكان الطريق (أو الممر) المؤدّي إلى البوابة التالية مستقيمًا مثل السهم وضيقًا جدًا، وعلى جانبي هذا الطريق وبطوله كله هوّة عميقة مرعبة لا يمكن رؤية قرارها، ولم تختلف هذه الهوّة في جميع المحطات سوى في أنّ الطريق كان يضيق حتى إنه قبل البوابة الأخيرة صار عرضه بالكاد قدمًا واحدة.

بعد مسيرةٍ قصيرةٍ وصلنا إلى محطةٍ أخرى أكثر جمالاً وأكثر ضياءً من الأخيرة. وهناك أيضًا كانت توجد نفوس ومعها ملائكتها المرشدة لها وشياطين، والملاك الذي كان يقف حارسًا للبوابة. والشياطين هنا أكثر جسارة في محاولتهم أن يمنعوا النفوس من دخول البوابات، وذلك بعد أن

كان الملاك الحارس قد سمح لهم أن يفعلوا ذلك. لقد كان الشياطين يحاولون بكل قوتهم أن يشدّوا النفوس إلى اتجاهٍ آخر بلا طائل، لأنه طالما أن النفوس قد سُمِح لها أن تدخل من البوابة التي على شكل صليب، فقد صارت محصّنة ضدّ هجمات الشياطين!

دخل الملاك مرشدي من جميع البوابات، وكانت جميع المحطات مختلفة المنظر عن بعضها، فكل محطة جديدة كانت أروع جمالاً من سابقتها، وكان ملائكة البوابات يختلفون عن بعضهم في ملابسهم، وفي أثناء رحلتنا إلى البوابة الأخيرة كان كل ممرّ أكثر ضيقًا مما قبله. وعند المحطة الأخيرة كان يقف على البوابة شخص له منظر مميَّز جدًا، وهو شبيهٌ جدًا في مظهره بملاكي المرشد، وكان يمسك بيده اليسرى كتابًا وبيده اليمنى سيفًا. اِبتسم بسرور وانحنى لنا فدخلنا من البوابة الأخيرة حيث كان الممرّ أكثر ضيقًا من جميع الممرات.

وبمجرد أن عبرنا هذه البوابة وجدنا أنفسنا في نور هائل لامع، فقد كان النور حتى البوابة الأخيرة عاديًا يشبه نور الأرض، إلاّ أنّ الفرق بين هذا النور الجديد والعادي كان هائلاً كالفرق مثلاً بين يوم شمسه ساطعة وأحلك الليالي ظلمةً! وإذ دُهِشتُ من هذا الضوء القوي بدأتُ أنظر حولي باحثًا عن الشمس، إلاّ أنّ مرشدي الملاك شرح لي أننا قد عبرنا من مجال أشعة الشمس، وأننا نحن الآن **في الملكوت السماوي**. وأخبرني أنّ السموات تضيء بهذا النور البرّاق من وجه الله! وأنه لا توجد هناك ليالي بل نهار دائم! أمّا الخوف والرعبة اللذان كانا يسيطران عليَّ كل الطريق حتى هذا المكان فقد اختفيا فجأةً وامتلأتُ بشعور من السلام والفرح العميقين لا يمكن وصفهما.

وقد أمكنني أن أرى من علو سماء السموات[2] أروع منظر من تحتي وهو مدينة هائلة ضخمة لا يمكن إدراك حجمها[3]، فيها بيوت وكنائس وميادين (أو متنزهات)، وأشياء عديدة

(2) أي السماء التي هي مثل السقف للملكوت، ولعل هذا يفسر لنا ما ذكره الكتاب المقدس عن السماء الجديدة والأرض الجديدة (إش65: 17، 66: 22؛ رؤ21: 1).
(3) يسميها الكتاب: ”أورشليم السماوية“.

جميلة أخرى منتشـرة في الفراغات السـماوية غير المحدودة. وكل شـيء متلألئ متألِّق ومشـعّ بنور سماوي فائق يخطف الأبصار.

وقد لفت انتباهي نهران هائلان كانا يتدفقان ببطءٍ داخل المدينة، أحدهما ممتلئ بسـائل أصفر اللون والآخر بسائل أبيض. فتحيّرتُ من ذلك، وعلم الملاك بذلك فشرح لي أنهما نهران من العسـل واللبن[4]. ولما دققتُ النظر في هذين النهرين أمكنني أن أرى جداول صـغيرة كثيرة جدًا تتفرع منهما في جميع الاتجاهات نحو كل نوع من النبات الأخضـر، وهكذا تغذِّي كل شجرة.

تحت تأثير هذا المنظر الذي أمامي شـعرتُ بنوع من الانفعال بفرح مفرط غامر حتى إنني - دون أن أدري - مددتُ ذراعيَّ في ذلك الاتجاه، لأنه كانت لي رغبة شـديدة أن ألمس وأربت على كل هذا، إلاّ أنّ الملاك أخذني ونزلنا بسرعةٍ إلى تلك البيئة الجميلة.

لم يكن هناك حدٌّ لفرحي واندهاشـي عندما رأيتُ كل ما حولنا، وما كنتُ أدري أين أنظر أولاً، لقد كان بجوارنا وعلى بُعدٍ منا - بقدر ما يمكن للعين أن ترى - نوع من الحياة المتنعمة مما لا يمكن تصـوُّره أو رؤيته في أي مكان خارج السـماء: أرضـية السـماء شـيء يشـبه الزجاج الصـافي مثل البللور، وكانت الجداول التي ذكرتُها تتدفق تحت هذه الأرضـية البللورية. وكانت توجد حولنا، على مسـافات مختلفة، منازل جميلة عديدة بأحجام وأشـكال مختلفة[5]، وكل منزل له زينة جميلة لدرجة أنها بدت وكأنها مرتديةً أبدع وأبهى أنواع الجواهر. وكانت أكثر أجزاء هذه البيوت السـماوية إثارةً للانتباه سـطوحها التي ذكّرتني - بدرجةٍ ما - بالكنائس الروسـية بقبابها الكثيرة. هذا الفن الهندسـي الجميل زاده جمالاً وروعةً النور الذي كان ينعكس على كل واجهةٍ من هذه المنازل من خارجها!

---

(4) لأنّ كنعان الأرضية التي كانت تفيض لبنًا وعسلاً ترمز إلى كنعان السماوية.
(5) «في بيت أبي منازل كثيرة» (يو14: 2).

وحول هذه الحصون السماوية توجد حدائق فسيحة مليئة بأجمل الأشجار والزهور التي تفوح منها روائح عطرية غير معروفة في الأرض، وعبيرها ينشـــره هناك نســـيم لطيف. وكنتُ أتطلّع بتعجُّبٍ في الزهور الناضرة باستمرار، وكان بعضها يتغير من لون إلى آخر، وكلما تغيرت ألوانها تغيرت أيضًا روائحها.

وفي نفس الوقت رأيتُ أشـجار فواكه عـديدة ومختلفـة، مزينـة بثمارها كما بأجمل العقود. والثمار كبيرة الحجم جدًا ممتلئة بالعصـير الذي يمكن رؤيته منتشـرًا داخل الثمرة. وقد أخبرني الملاك أنّ الشجر يعطي ثماره 12 مرة في السنة[6].

ورأيتُ كرومًا كثيرة منفصـلة عن أشـجار الفواكه ولا سـيما عند الأنـــهار، وبعضـها عند المنازل، وقد تأثرتُ بأوراقها الخضراء الصافية وألوان عناقيدها الزاهية وخصوبتها الواضحة (أو منظرها الشهي).

ووســط هذا الجمال الذي لا يُحلَم به كانت هناك طيور عديدة رائعة، كل طير أجمل من الآخر، وهي تغرّدِ بأغاني حلوة. وأينما أخذني قائدي الملاك في أماكن الســماء المختلفة رأيتُ أنـاسًــا من جميع الأعمار، وكان منظر الشــيوخ منهم بهيج ومؤثر جدًا، وقد تبقّى لهم من علامات الشيخوخة المختلفة كما نعرفها الشعر والذقون البيضاء وحدها التي كانت بهية في طلعتها، في حين أنّ وجوههم قد تحولت إلى وجوه شباب.

والأعجب من منظر هذه الوجوه العزيزة هو التطلُّع إلى الأطفال الذين يشبهون الملائكة من نواح عديدة، وقد لاحظتُ أنهم في الميادين (أو الســاحات أو الحدائق) وأماكن أخرى يلعبون ألعابًا ومباريات مختلفة، والكثير منهم قد ارتدوا ضــفائر من الزهور، بينما تقفز الطيور وتقف على أكتافهم وهي ترفرف بأجنحتها وتغرّدِ بوداعتها ولطفها، وهي بذلك تضــيف حلاوةً

(6) وهو نفس تعبير سفر الرؤيا 22: 2.

إلى الأطفال وهم يلعبون!

وقد لاحظتُ أنّ الأطفال والبالغين يختلفون في ملابسهم، لأنها كانت مضيئة ومختلفة الألوان والأشكال ومن نواحي أخرى أيضًا، والاختلافات موضوعة من السماء لتناسب صفات (أو فضائل) كل واحدٍ، وحول رؤوسهم توجد هالات أصغر من التي للملائكة والقديسين، لأنه بسبب حياتهم النقية ومخافتهم لله على الأرض قد منحهم الرب كل مسرةٍ يمكن تصورها.

وتوجد مع هؤلاء السكان السماويين جماهير من الملائكة، ولا يمكن أن ندرك بأذهاننا جمال وصفاء وجوه الملائكة، إنهم مضيئون أكثر من الشمس، وتشعّ من حول ملابسهم كلها أنوار كالبرق، وسكان السماء مختلطون مع الملائكة الصغار والكبار، وفي أماكن كثيرة يعيِّدون للرب معًا بالألحان.

وكلما تحركنا في السماء كانت تغمرني مناظر مذهلة أكثر فأكثر، وكان قائدي الملاك وأنا نتحرك بكل سهولة وبكل سرعة. ثم أتينا إلى جمال أكثر إعجازًا، فقد فاق هذا المكان كل شيء كنتُ قد رأيته في قوة ضيائه وزيناته. ففي هذا المكان على مسافةٍ قصيرةٍ أمامنا على الجانب اليمين كانت توجد الرتب السماوية العليا تقف في صفٍّ مستقيم، وعن اليسار كثيرون من مختاري الله بحسب رتبهم. وبين الصفوف توجد مسافات قصيرة حتى يمكن التمييز بين الرتب والخوارس بوضوح، هذا ما استنتجته بعد ذلك. إنّ الجمال الذي رأته عيناي هناك **لا توجد كلمات ملائمة لوصفه**[7].

هنا أبطأ مرشدي من خطوته واتجه نحو اليمين وأشار بيده وهو يشرح لي قائلاً: "هؤلاء ملائكة، وهؤلاء رؤساء ملائكة". ثم اتجه إلى يسارنا وقال: "هؤلاء هم الأبرار وهؤلاء هم سكان البراري". ثم اتجه إلى اليمين وأكمل كلامه: "هؤلاء هم الشيروبيم وهؤلاء هم السيرافيم". ثم

(7) «ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعدّه الله للذين يحبونه»(1كو2: 9).

اتجه مرةً أخرى إلى اليسار مشيرًا بيده قائلاً: "هؤلاء رهبان وهؤلاء شهداء وهم الذين احتملوا الموت لأجل الرب يسوع المسيح وصاروا مستحقين للمجد السماوي". ثم اتجه إلى اليمين مرةً أخرى وقال: "هؤلاء هم الرسل ..."، وهنا توقف الملاك قائدي عن شرحه لأنّ القديس بطرس الرسول خرج من بين جماعة الرسل وجاء ووقف أمامنا، وفي نفس الوقت ظهرت من الناحية اليسرى القديسة باراسكيفا ووقفت أمام القديس بطرس. هكذا وقف المسافران اللذان ركبا معي من "كراليفو Kraljevo" إلى زيتشا في أعظم مجد وضياء! وكان على رأسيهما إكليلان متلألئان، وكانا يرتديان فوق ملابسهما ثوبين متألقين بزينات لا يمكن تصوُّرها تشعُّ ببريق شديد. وكان كلٌ منهما يرتدي على كتفه الأيمن إكليل زهور ذا جمال فائق، وذلك كرتبةٍ مميّزةٍ لهما. وكانت لمنظرهما روعة سماوية في أعلى ذروتها.

وأثناء الوقت الذي قادني فيه الملاك داخل السماء كان شعوري أنني لن أرى هذه كلها مرةً أخرى. وإذ كنتُ مندهشًا من هذه المقابلة ومن منظر هذين القديسين، نظرتُ إليهما بنوع من الذهول أو الدهَش ecstasy دون أن أُحوِّل عينيَّ عنهما. ثم قطع الرسول بطرس حالتي الذهنية هذه بكلماتٍ رقيقةٍ قائلاً: "يا دوزان، أتعلم مَنْ هما اللذان ركبا معك السيارة اليوم"؟ فأجبتُ بأقصى ما عندي من إعجابٍ ودون أن أُخفي فرحي قائلاً: "علمت"! ثم استأنف كلامه لي: "منذ اليوم لا تكن غير مؤمن بل مؤمنًا، ويجب أن تتعمّد باسم الآب والابن والروح القدس". ثم رشم القديس بطرس نفسه بعلامة الصليب مُظهِرًا لي الطريقة الصحيحة لرشم الصليب.

كنتُ في طفولتي قد تعودتُ أن أرشم الصليب بتحريك يدي من جبهتي إلى ذقني، أمّا الآن فقد تعلّمتُ من الرسول بطرس أنني كنتُ أرشم نفسي بطريقةٍ خاطئةٍ، وكيف ينبغي أن أفعل ذلك في المستقبل. ولما شعر أنني كنتُ أفكر في ذلك استمر ينصحني قائلاً: "أثناء صلواتك أُدعُ جميع القديسين والأنبياء والملائكة ورؤساء الملائكة والشيروبيم والسيرافيم، وأكثر من الكل أُدعُ والدة

الإله الفائقة القداسة العذراء مريم لأنّ مجدها وكرامتها أعظم من جميع الملائكة في السماء. إنها سريعة المعونة لجميع الذين يدعونها بالصلاة وبإيمان"!

"وعليك منذ اليوم أن تتوقف عن العادات القديمة التي صارت لها جذور عميقة في داخلك، وعليك أن تعيِّد بيوم شفيعتكم (في يوغوسلافيا) القديسة "بتكا باراسكيفا" التي تصلِّي من أجل جميع الذين يحتفلون بعيدها". وهنا أشار بيده نحوها قائلاً: "إنّ الذي رأيته اليوم يا دوزان والذي ستراه بعد ذلك، الذي سيريك إياه رئيس الملائكة جبرائيل، فلأجله أنت مطوَّبٌ، **ومباركون هم جميع الذين يصدقونك**، ولكن هذا لن يكون كافيًا إلاّ إذا سلكتَ بعد ذلك في طريق ربنا يسوع المسيح. وأقول لك يا دوزان، إنك في فرصة الحياة القصيرة التي بقيت لك يمكنك أن تخلص بالصوم والصلاة بالإضافة إلى حفظك لجميع وصايا الله".

إن جاذبية كلمات الرسول قد جعلتها تدخل إلى أعماق قلبي، وقد وقفتُ تحت تأثيرها بلا حراك ناظرًا ومصغيًا إلى هؤلاء الذين هم نور ومنارة من الله. ثم قطع رئيس الملائكة جبرائيل أفكاري وأكمل قائلاً: "هؤلاء هم أنبياء الله، وهؤلاء هم كبار الشهداء". وهكذا استمر يعرِّفني بهم، وكل جماعة يعرِّفني بها كانت تحيّينا بابتسامةٍ وديعةٍ وانحناءةٍ رقيقةٍ برؤوسهم.

ثم قادني الملاك بعد ذلك مباشرةً إلى مناطق أخرى من السماء. وكنتُ قادرًا أن أرى بعينيَّ مسافاتٍ وأبعادًا شاسعةً وأن أرى أصغر الأشياء بأدقّ تفاصيلها وبوضوح أكثر مما شاهدته في قيامة الموتى عندما كنتُ في السحابة، لقد منحني الرب هذه الكفاءة في الرؤية لكي أتمكن من رؤية العالم الروحاني. وقد رأيتُ العديد من المواضع المقدسة المصنوعة من الذهب والحجارة الكريمة، وكانت أبوابها مفتوحةً بسعةٍ، واستطعتُ أن أسمع ليتورجيات (قداسات أو تسابيح) مهيبة تُقدَّم لله مصحوبةً بخوارس بهيّة من الملائكة ورؤساء الملائكة والقديسين.

كان الملاك يقودني كل الوقت، وكان يُبطئ من خطواته في أماكن معينة فقط عندما

يريدني أن أُلقي نظرةً أطول، ولكنه لم يتوقف. ولا أعلم مقدار الوقت الذي كنا نقضـيه. ثم أبطأ الملاك جدًا على غير المتوقَّع لدرجة أننا كدنا نقف، وظهر أمامنا على مسافةٍ كبيرةٍ مكان مرتفع كبير منتصبٌ عليه صليبٌ ضخم، وقد رأيتُ عليه الرب المصلوب، وفوق الصليب حمامة كبيرة جدًا مبسوطة الجناحين. وتنبعث من الصليب نفسه في جميع الاتجاهات أشعة منيرة مصمتة، في حين أنني استطعتُ أن أرى تحت قاعدة الصليب العديد من الملائكة المجنَّحين ورؤساء الملائكة والرسل والأنبياء والقديسين حيث كانوا يمجدون الرب المصلوب. وأمكنني أن أرى في خلفية هذا المنظر عدة كنائس ضخمة ومبان أخرى ... وكل هذا كان برّاقًا ومهيبًا في جماله لدرجة أنني كنتُ مذهولاً من تأثيره عليَّ.

ثم أوقفني الملاك وقال لي: "هذا هو المكان حيث يوجد عرش الرب، وأنت غير مستحق أن تذهب إلى هناك". وأخذني الملاك، وبسرعةٍ صرنا خارج السماء.

**إلى مشاهدة عذابات جهنم:**

كانت تنتظرنا سحابة فدخلنا فيها، ثم أخذتنا إلى مكان ما نحو الغرب، وفي هذا الوقت لم أستطع أن أرى إلى أين كنا ذاهبين، فقد كان لديَّ انطباع أنّ رحلتنا لم تكن لمسافةٍ كبيرةٍ في هذا الاتجاه، ولكن السحابة غيّرت - على غير المتوقّع - اتجاه مسارها وبدأت تهبط بسرعةٍ رهيبةٍ إلى شيءٍ مثل الهوّة ثم توقّفت عند مكان عميق، وخرجنا منها، واقتادني الملاك إلى مكان مظلم. وبعد خطوات قليلة صارت الظلمة كثيفة حتى إنّ سوادها صار لا يمكن مقارنته بأي سوادٍ آخر.

ثم هبّت علينا من عمق هذه الظلمة الكئيبة رائحة مريعة حتى إنني صرتُ أتنفس بصعوبةٍ، وشعرتُ أننا نواجه شيئًا مرعبًا، ولكنني لم أدرك حينئذٍ ما هو. وقد تملّك الخوف والرعدة على كياني كله وأمسكتُ بشدةٍ في الملاك قائدي لكي يحميني ويحرسني في هذا

الطريق المخيف. وقد تأكدت ظنوني على الفور عندما شاهدنا على مسافةٍ كبيرةٍ بحرًا لا حدود له يشتعل بألسنةٍ ناريةٍ مرعبة. ثم وصلنا بسرعةٍ إلى هذا المكان ووقفنا أمامه على مسافةٍ ليست كبيرة، ولم أستطع أن أرى إلاّ في وقتٍ متأخر أننا كنا نقف على شيءٍ مثل السور العالي، طوله غير محدودٍ أمامنا، كان يحيط بهذا المكان الذي يحوي النار الأبدية والفزع غير المحدود.

إنّ المشهد المرعب الذي واجَهَتْه عيوننا قد ألقى بذهني بكل عنفٍ في حالةٍ من الاضطراب، أما أطرافي التي اعتراها الضعف من المخاوف السابقة فقد صارت الآن في حالة تخدير كاملة ( أي صارت عديمة الحسّ)! وصارت عيناي معبّستان، وكانت قشعريرة البرد التي سرت في أوصال جسدي شبه المخدَّر[8] هي العلامة الوحيدة على أنني كنتُ على قيد الحياة!

ولما نظرتُ مرةً أخرى رأيتُ أمامنا ماءً يغلي كما من جوف بركان ثائر، وهو كبريتي ذو رائحةٍ كريهةٍ مع ألسنة متصعِّدة من اللهيب المخيف. وقال لي الملاك: "هذا البحر الناري (أو هذه اللّجّة) عمقه ليس متساويًا في كل مكان، فهناك حيث يصل اللهب إلى ارتفاع 40 مترًا يكون هذا هو أعمق مكان في هذه اللّجّة".

في هذه الرعبة التي لا يمكن تصوُّرها رأيتُ العديد من أبشع ما خُلِق من الحيوانات منظرًا لتكون من أشنع أنواع التعذيب، وأفاعي ضخمة (تنّانين)، بعضها له أكثر من رأس واحدة تتلوّى وتشبّ إلى أعلى بطريقةٍ عناقيةٍ مخيفة، وهي تشدّ الخطاة إلى أعماق هذه اللّجّة الملتهبة. وهناك حيوانات أخرى منظرها أكثر رعبةً تُبرز من أنيابها (أو فكاكها) الدامية (المليئة بالدم) أذرع وأرجل وأطراف وأجزاء أخرى من أجسادٍ بشرية. وبين هذه الحيوانات يوجد دودٌ

(8) «الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان (من شدّة البرد)» (مت25: 30).

وعقارب وحشرات أخرى مرعبة تندفع بقوةٍ كأنها بركانية، وهي تهاجم نفوس الخطاة بوحشيةٍ وبلا حدودٍ في بحر العذاب هذا!

هناك يمكن أن تُسمع أصوات صياح وصراخ ونوح وعويل بشرية. إنّ نفوس البشر التي في لجّة النار هذه هي بلا معونةٍ مثل السمك في مياهٍ ضحلةٍ (قليلة الغور أو سطحية). وتُهاجم تلك الوحوش النفوس من كل اتجاهٍ لتعضّها وتشقها وتمزقها إلى أصغر القطع، ثم تُعاد هذه الأجسام المشوَّهة والممزَّقة مرةً أخرى إلى هيئتها البشرية الكاملة.

ومن شدّة خوفي ورعدتي من هذا المشهد البشع كدتُ أقع في بحر النار هذا، إلاّ أنّ الملاك قائدي سندني قائلاً: "لا تخف يا دوزان، هذه هي جهنم! هذه الأفاعي وبقية الحشرات التي تعوم في هذا الماء الكبريتي المغلي قد خلقها الله بطريقةٍ ما تجعل هذا الماء الحار لا يؤثر عليها، إنها تظلّ إلى الأبد تعضّ وتمضغ وتمتص دم الخطاة، وستظل هائجة في جحيم النار هذا ولكنها لن تفنى بالكلية"!

لقد كان هذا المنظر الشنيع لتعذيب هؤلاء الخطاة لا يُطاق، وقد أغمضتُ عينيَّ عدة مرات حتى لا أرى شيئًا. وفي إحدى المرات أدرتُ رأسي نحو الظلام ولكن عيناي واجهتا كائناتٍ مظلمةٍ شنيعة وغريبة الخلقة ولها عيون ملتهبة وفكوك واسعة مفتوحة، وكانت تزأر وتصيح، وبدأت تطير حولنا بسرعةٍ مخيفةٍ، وقد اهتزت جهنم من طنينها المرعب كما من عاصفةٍ رعديةٍ عنيفة! ولما شعر الملاك أنني كنتُ في حالةٍ خطيرةٍ قال لي: "لا تخف، هؤلاء شياطين لا يرغبون في وجودنا هنا، إنهم لا يحتملون ذلك، ولكنهم لا يجرؤون على الاقتراب منا".

ثم قال لي الملاك أيضًا: "لقد رأيتَ كيف أنهم يقاسون يا دوزان، وهذه هي الكيفية التي سيُقاسي بها في المستقبل جميع الذين لا يؤمنون بالله، وجميع الذين يصلُّون لإله كاذبٍ يتصورونه لأنفسهم، لأنهم يحبون إلههم ويرونه في ثروتهم وبيوتهم وفيلّاتهم وسياراتهم

ومجوهراتهم وحياتهم المترفة وبطونهم. كما أن الذين يؤمنون بالله ولكنهم عندما يُسألون يخافون أن يقولوا ذلك علنًا، فهؤلاء أيضًا سيُعذَّبون معهم، كما أنّ الذين لا يكرِّمون آباءهم وأُمّهاتهم وأقرب الناس إليهم فسيُلقون في عذابٍ أبدي، وسيُرافق هؤلاء في النار الأبدية جميع الذين عندهم الخطية عزيزة أكثر من الحياة البارّة، الذين هم الكذّابون والذين يشهدون بالزور والذين يخدعون (أو يغشون) والذين يستهزئون ويتهكمون والخبثاء والحقودون والحاسدون واللصوص والسالبون والزناة والبخلاء وآخرون كثيرون. وأنت لكي لا يكون مصيرك هكذا من الضروري لك أن تتوب وتعترف بخطاياك عندما تعود إلى الأرض".

بعد هذا الكلام، أخذني قائدي الملاك من يدي واقتادني بسرعةٍ كبيرةٍ إلى خارج جهنم حيث كانت السحابة تنتظرنا، فدخلنا فيها، ثم أخذتنا هذه المرّة إلى نفس المكان الذي شاهدنا منه قيامة الموتى حيث صرتُ أقرب إلى الأرض.

**أنواع القائمين من الموت:**

جميع الذين قاموا من الموت الذين رأيتهم سابقًا أصبحوا الآن مقسّمين أمامي إلى ثلاثة أنواع هائلة العدد:

**المجموعة الأولى:** عن اليمين، وهم أناس وجوههم لامعة مبتسمة.

**المجموعة الثانية:** عن يسار الأولى، وهم أناس يبدو عليهم البؤس، وحول وجوههم سواد، وعددهم أكبر من المجموعة الأولى.

**المجموعة الثالثة:** إلى أقصى اليسار، عددٌ لا يُحصَى من الناس وجوههم سوداء قبيحة.

ولما نظرتُ إلى هذه المجموعات من الناس شرح لي الملاك قائلاً: "هؤلاء الذين عن اليمين ذوو الوجوه السعيدة هم الأبرار، وتنتظرهم مكافأة سماوية على حياتهم البارّة على الأرض. وهؤلاء الذين في الوسط بوجوه سوداء هم الخطاة الأبرياء (ربما يقصد: "عن جهل"). إنهم

ذوو خطايا صــغيرة، وينبغي أن تُقدَّم لأجلهم صــلوات وأعمال خير حتى تُغفَر لهم خطاياهم، لأنّ الصــلوات وأعمال الخير لها فائدة عظيمة أمام الله. أما الذين تراهم إلى أقصــى اليســار فهم كبار الخطاة، وبسـبب حياتهم الدنسـة على الأرض يأخذون صـورة خطاياهم التي لأجلها سيُلقون في النار الأبدية".

الخطاة الكبار كان منظرهم مرعبًا، فقد كانت أجســادهم كلها متورِّمة وتغطيها قروح كبيرة ومفتوحة يسيل منها صديد كريه، وبداخل القروح توجد أسراب من الدود تأكل في أجسامهم. وكانت أفواههم المفتوحة تتدلّى منها ألســـنتهم المتورِّمة التي لا يمكنهم أن يُدخِلوها في أفواههم ليُعيدوها إلى مكانها! وهم جميعًا يحملون شــيئًا في أيديهم يشــير إلى خط ســير أعمالهم على الأرض: فالخبّاز كان يحمل رغيفًا من الخبز، والجزّار يحمل ســاطور قطع اللحم، والمجرمون يحملون خنـاجر أو بنـادق والـدم يغطيهم، وأصــحـاب الحوانيـت (الـدكاكين) وغيرهم (من الباعة) كانوا يحملون موازين ليُظهِروا كيف كانوا يغشّــون بها وحصــلوا على ثرواتٍ بوســائل غير شريفة، والأطباء أيضًا كانوا معهم يُظهِرون كيف أنهم طلبوا رشاوى ولما لم يحصلوا عليها تركوا مرضــاهم يموتون بآلام كثيرة! كما كان بينهم أيضًــا مَنْ طلبوا رشــاوى لتوظيف آخرين، وكان بعضهم من أصحاب الأعمال الذين عندما طُلِبت لأعمالهم نساء أو بنات أعطوها للآتي وجدوا مسرّتهم فيهنّ بعد أن أجبروهنّ على حياة الخطية!

كمـا رأيـتُ بينهم الـذين يُخبرون النـاس بحظّهم (أي العرّافين الـذين يعرِّفون الآخرين بـالبخـت) والســحرة والـذين يفحصــون عن مســتقبـل النـاس في الفنـاجين وورق اللعـب (الكوتشــينة) وكفّ اليد، والذين عملوا على تحطيم الأســر، فيفصــلون المتزوجين ليزوِّجوهم بالأشرار، وكل ذلك كانوا يفعلونه طمعًا في المال، وأمكنني أن أرى أكوامًا من النقود بجوارهم.

وفي هذه المجموعة توجد العاهرات والزناة والفجّار، كما توجد نساء زانيات قتلن أطفالهنّ

بطرق مختلفة وبالأكثر بواســطة الســمّ، وذلك لكي يمكنهن أن يعشــن الحياة الشــهوانية، وبدت جميعهن مشـوّهات بأورام كبيرة وقروح بشـعة مفتوحة، وكانت أعضـاؤهنّ التناسـلية متورِّمة حتى تصــل إلى الأرض ومغطاة بـالصــديد، والثعابين والـدود تزحف حولها. وكانت ألســنتهن متورِّمة أورامًا كبيرة ومدلاّة من أفواههن. وكان بين كل هؤلاء زناة مع الأقارب المحرَّم الزواج بهنّ، وكان التطلُّع إلى كل هؤلاء لا يُطاق!

وقد دُهِشــتُ جدًا عندما رأيتُ الذين قضــوا حياتهم الأرضــية في الكنائس والأديرة، وكانوا مقسَّمين إلى مجموعات من أساقفة وكهنة وشمامسة ورهبان وراهبات، ولم يختلف منظرهم عن البخلاء والزناة والغشّـاشـين (أو المخادعين) وشـهود الزور وبقية الخطاة. وإذ عرف الملاك أفكاري قال لي: "لا تستغرب، يا دوزان، من أن ترى هؤلاء أيضًا بين الخطاة الكبار، إنهم بحرية إرادتهم نـذروا (أو تعهـدوا) على الصــليب والكتـاب المقـدس أن يخـدموا الله بـإخلاص، وأن يسلكوا طريق الرب يسوع المسيح، وأنهم بتعاليمهم وقدوتهم مثل الرسل القديسين يقتادون النـاس إلى طريق الرب حتى تمتلئ الكنـائس وتخلص نفوس النـاس، إلاّ أنهم عـاشــوا حيـاةً مضـادّة لذلك، فبدلاً مما وعدوا به كانوا يختصـرون صـلوات الأسـرار مثل المعمودية والزواج والجنازات والتذكارات والقداسـات. لقد قالوا (أو نذروا) شـيئًا وفعلوا شـيئًا آخر. كانوا جياعًا إلى المال، فأخذوا أجورًا باهظة لأجل خدماتهم، وغالبًا ما ثقّلوا على الفقراء أكثر من الأغنياء وذوي النفوذ، بل إنهم ارتكبوا الزنى وأحبوا القسَــمْ والشــرب والشــراهة (في الأكل) والقمار والبيوت والسـيارات الغالية القيمة. إنهم كانوا ماكرين حسـودين، يخرِّبون حياة الآخرين لكي يرفعوا من شــأن ذواتهم. وبســلوكهم أبعدوا كثيرين عن الكنيســة وعن الله وعن أي شــعور أخلاقي، وهم بذلك كانوا يقودونهم إلى الخطية".

"تذكّر هذا يا دوزان: أن تُبعِد إنســانًا عن الإيمان تكون كالقاتل تمامًا! فلو كان هؤلاء

الإكليروس (رجال الدين) قد عاشـــوا كقدوةٍ صـــالحةٍ لكان كثيرون قد جاءوا إلى الله وإلى كنيســـته فيخلصـــوا. ولهذا فإنّ رجال الكنيســـة هؤلاء يحملون بالإضـــافة إلى خطاياهم الشخصية خطايا جميع الناس الذين بسـببهم ابتعدوا عن الإيمان والخلاص، وسـيتعذبون عن كل هذه الخطايا".

"أمّا الذي يقود إنســـانًا إلى الإيمان فمثل هذا ينال غفرانًا يمحو الكثير من خطاياه[9]. لقد تســـبّب رجال الكنيســـة الخطاة هؤلاء في هلاك نفوس كثيرة، ولذلك جعلهم الله مع أردأ الخطاة وأكثرهم سوادًا. لقد رأيتَ، يا دوزان، منظر الأبرار ومنظر الخطاة، إنهم بهذه الكيفية تمامًا سيظهرون أمام ربنا يسوع المسيح يوم الدينونة عندما يُدانون بحسب أفعالهم".

وكان الأبرار يحملون أيضًا آلات أعمالهم وتجارتهم: فالذين يحملون موازين تكون موازينهم دائمًا مائلة لحساب العميل (الزبون). إنهم كانوا يعطون الفقراء والجياع والبؤساء بدون مقابل، وكانوا يســـتقبلون المســـافرين المتعبين في بيوتهم، وكانت لهم مخافة الله وطاعة لوصـــاياه، وقد مُحيت جميع خطاياهم بالصـــوم والاعتراف والتناول من جســـد المســـيح ودمه وأعمال الرحمة والعطف وأعمال صالحة أخرى، وقد سامحوا الكل لذلك غفر الله لهم كل شيء.

وقد عرفتُ من بين الخطاة والأبرار أقاربي وأصدقائي، ولكن الملاك حذّرني قائلاً: "يا دوزان، غير مسـموح لك أن تذكر منظر أقربائك أو أصـدقائك بالاسـم، يمكنك فقط أن تكشـف عن منظر الخطاة والأبرار (بصفةٍ عامة) ".

بعد كلام الملاك هذا نفخ رؤسـاء الملائكة في أبواقهم، فاختفى المشـهد كله. وشـرح لي الملاك أنه في يوم الدينونة العظيم سـينضـم الناس الذين سـيظلون أحياء إلى القائمين من الموت في طرفة عين[10]، وسـيتحولون (أو سـيتغيرون) كأنهم هم أيضًـا قاموا من الموت ومعهم أعمالهم

(9) «مَنْ ردّ خاطئًا عن ضلال طريقه يخلّص نفسًا من الموت ويستر كثرةً من الخطايا» (يع5: 20).
(10) «هوذا سرٌّ أقوله لكم: لا نرقد كلنا، ولكننا كلنا نتغيّر في لحظةٍ في طرفة عين عند البوق الأخير ...» (1كو15: 51و52).

مكتوبة على جباههم. ثم اختفى أيضًا رؤساء الملائكة مع الأبواق، وبقينا قائدي الملاك وأنا وحدنا في السحابة.

## نصائح الملاك الأخيرة للأخ دوزان:

ثم أكمل الملاك كلامه لي قائلاً: "يا دوزان، إنك رجلٌ مخلصٌ وعطوفٌ، وقد حفظك قلبك النبيل من ارتكاب الشر نحو أي إنسان. إنك تُبغض الكذّابين واللصوص والماكرين، وأنت لستَ مستهزئًا أو ساخرًا، ولا يمكن للمال أن يشتريك، وإيمانك بالله كان فقط سطحيًا كما تذكّرته من أيام طفولتك، وأنت لم تؤمن أنّ الإنسان كائن قد تطور من أصله (المزعوم) الذي هو القرد، ولكنك كنتَ تتجنّب الحكم في هذا الأمر لأنك لم تكن تعرف شيئًا عن الله".

"لك عادات رديئة كثيرة وخطايا عديدة، وعندما تغضب تحلف حتى بالله. وأنت موهوبٌ في الأغاني وتحب أن تقرأ الفنجان وتكشف عن البخت، إنك تزني وتشتهي كل امرأةٍ تراها عيناك من غير قريباتك، وكنتَ ناجحًا جدًا في إتمام شهواتك (أو رغباتك) في الأغاني وكشف البخت. لقد كنتَ تكذب فقط عندما تحلف للنساء، ولا سيما زوجتك، بخصوص إخلاصك لها. وها أنت قد رأيتَ ما ينتظر الزناة والعرّافين، فمن الآن فصاعدًا لا تقرأ الفنجان، وكل شابة تقابلها كرِّمها واحترمها مثل أختك والأكبر سنًا مثل أمّك، وكل شاب فليكن مثل أخيك والكبار مثل والدك. ولا تستعمل كلمات القسَم إطلاقًا".

"صلِّ إلى الله وتُب عن جميع الخطايا التي فعلتها. أحب جميع الناس وابغض خطاياهم. اِغفر للآخرين لكي تُغفَر لك خطاياك. إنّ حبّك للخير وقلبك الطيب هما أكثر وزنًا من خطاياك. يجب عليك أن تعترف وتتناول في إحدى الكنائس الأرثوذكسية، وعندما تعترف وتنال الشركة من جسد ودم الرب يسوع المسيح سيغفر لك الرب خطاياك. ومنذ اليوم لا تعُد تخطئ، وتعمَّد باسم الآب والابن والروح القدس".

وفي نفس الوقت الذي قال فيه قائدي الملاك ذلك رشم نفسه بعلامة الصليب لكي يعلِّمني الطريقة الصحيحة لذلك، ثم قال: "في صلواتك ادعُ جميع القديسين، ولا سيما شفيعتكم، وجميع الرسل والأنبياء والملائكة ورؤساء الملائكة والشيروبيم والسيرافيم، ولكن أكثر الكل وبالدرجة الأولى ادعُ الفائقة القداسة والطهارة والأكثر مجدًا والدة الإله مريم أمّ المسيح، لأنّ قدرها وكرامتها ومجدها أعظم من جميع الملائكة في السماء. إنها سريعة المعونة لجميع الذين يدعونها بتوقير لأجل مساعدتهم".

"واذكر، يا دوزان، على الدوام أيضًا: أنّ كل خاطئ يتوب بجدّيةٍ ويصلّي لله لكي تُغفَر خطاياه ويدعونا نحن جميعًا الذين في السماء في صلواته، فإننا جميعًا نرافقه ونصلّي لله الآب والابن والروح القدس لكيما تُغفَر له خطاياه، وعندما يتم ذلك يكون هناك فرحٌ عظيمٌ في السماء[11]. ومن الآن فصاعدًا ينبغي أن تحتفل بشفيعتكم القديسة بتكا باراسكيفا كما يفعل والدك، إنها تصلِّي لأجلكم جميعًا أنتم الذين تحتفلون بها وتكرِّمونها".

"أقول لك، يا دوزان، ما قاله أيضًا الرسول العظيم بطرس: اِستغل الحياة القصيرة التي بقيت لك في خلاص نفسك، وهذا يمكن أن تفعله فقط بالصوم والصلاة والتناول والأعمال الصالحة وأعمال المحبة، واحفظ جميع وصايا الله كقانون يجب أن تعيش به حتى نهاية حياتك. ولا تتكلم عن اختبارك هذا (أي ما رأيته اليوم) لأي أحدٍ لمدة ثلاثة شهور، وبعد ذلك يمكنك أن تخبر به أقاربك وبعض أصدقائك".

"وتذكّر أيضًا أنك عندما تصلِّي لله فليكن ذلك بتركيز واتضاع جدِّي، وعندما تصوم لا تحزن بسبب ذلك بل كُن باشًّا وسعيدًا، وينبغي ألاّ يعلم أحد بأتعابك هذه. كُن ودودًا مع الناس كما كنتَ سابقًا، ومع الشخص المرِح كُن سعيدًا باعتدال مع ضبط لنفسك، ومع

---

(11) «هكذا يكون فرحٌ في السماء بخاطئ واحد يتوب» (لو15: 7و10).

الحزانى اِبكِ وعزِّهم. اِحترم الدولة وذوي السلطان وأكمل التزاماتك نحوهم. صلِّ لله واعتبره هو قبل كل شيء. إذا احتجتَ إلى إرشادٍ روحي فاتجه نحو كنيسة المسيح".

"عندما نفترق اِذهب مباشرةً إلى دير زيتشا، وعندما تدخل الكنيسة ستجد المكان الذي تُباع فيه الشموع والأيقونات والكتب وأشياء أخرى، وستجد كتبًا على رفٍّ بجوار الباب، اِشترِ الكتب الأول والثاني والثالث والرابع بهذا الترتيب، وعندما تعود إلى بيتك من "بانيا" خُذْ أيضًا الكتاب الذي تملكه أصلاً من بين مجموعة كتب Vuk Stephan Karadjic، هذا الكتاب هو العهد الجديد من الكتاب المقدس. إنك حاولتَ سابقًا أن تقرأه ولكنك تخلّيتَ عن ذلك لأنك لم تفهم بدايته حيث يقول: "فلان وَلَدَ فلانًا ...إلخ". ونبذت الكتاب باعتباره لا معنى له بالنسبة لك وعديم الأهمية. من الآن فصاعدًا عليك أن تقرأه بانتظام".

بعد هذا الكلام رشم رئيس الملائكة جبرائيل عليَّ بعلامة الصليب ثم اختفى ...!

* * *

استيقظتُ في لحظة انتهاء الرؤية وأنا غارقٌ في عَرَق باردٍ، وشعرتُ بتعبٍ شديدٍ لدرجة أنني لم أستطع أن أتحرك، ووجدتُ أنّ الساعة تشير إلى السادسة مساءً. وتحت تأثير هذه الرؤية شعرتُ بخوفٍ مع فرح، وشكرتُ الرب لأنه منحني هذه الرؤية.

**تغيير حياة دوزان:**

بينما كنتُ مضطجعًا هكذا بلا معونةٍ، مفكّرًا في كل ما رأيته في تلك الست ساعات الأخيرة، رشمتُ نفسي بعلامة الصليب، فاختفى التعب الذي سمّرني على السرير بالكامل، فنهضتُ وأنا أشعر بسعادةٍ لأنني تحرّرتُ من حمل ثقيل. وبعد أن أصلحتُ هندامي خرجتُ ذاهبًا إلى دير زيتشا لشراء الكتب التي أخبرني الملاك عنها.

في كنيســـة الدير لم يوجد أحد ســـوى راهبٌ لطيفٌ في مظهره، وقد علمتُ فيما بعد أنّ اسمه الأب "جراسيموس". وبعد أن قبّلتُ الأيقونات وأشعلتُ الشموع اِقتربتُ من رفّ الكتب وطلبتُ من الراهب أن يعطيني الأربعة كتب الأولى في الصـــف. وبالإضـــافة إلى ذلك اشـــتريتُ كتابين آخرين بعنواني: "المبشِّـــر الأرثوذكســـي" و"ناقوس القديس ســـافا"، وهذا الأخير كانت على غلافه صـــورة الفائقة القداســـة والدة الإله مع الرب يســـوع المســـيح. ولما أوشـــكتُ على الخروج ســـألني الراهب بكل أدبٍ من أين جئت. ولكنني خوفًا من أن أكشـــف له ما رأيته فقد أجبته بكل أسف بخشونةٍ: "ماذا يهمك من ذلك"؟ وأدرتُ له ظهري وخرجتُ من الكنيسة.

وكانت الكتب التي نصحني الملاك أن أشتريها هي:

(1) كتاب الصلاة الأرثوذكسية.

(2) حياة يسوع المسيح.

(3) حديث عن الإيمان.

(4) كتاب قوانين الصـــلاة الصـــغير ويحوي: تماجيد للقديســـة والدة الإله، وقانون صـــلاة للملاك الحارس، وقانون للتوبة.

وبمجرد أن عُدتُ إلى بانيا ألممتُ جيدًا بالكتب التي اشـــتريتها، فقد قرأتُ الكتابين الأول والرابع في نفس الليلة. وفي اليوم التالي - الذي صادف عيد القديسين بطرس وبولس - ذهبتُ إلى كنيســـة دير زيتشـــا لحضـــور أول صـــلاة لي في كنيســـة. أصـــغيتُ بغيرةٍ وتتبّعتُ كل شـــيءٍ في القداس الإلهي حيث إنّ تلحين الراهبات أثار فيَّ ذكريات حارة وجميلة لألحان الملائكة في الأخدار السماوية، فامتلأ قلبي بألذّ فرح روحاني، وكررتُ كثيرًا شكري للرب لأجل تغيير حياتي الخاطئة، شـــكرتُ الله الرحيم لأنه أظهر لي رحمته أنا الخاطئ. وبينما كنتُ أشـــكره باســـتمرار

كانت ذاكرتي تسترجع صورًا من حياتي الماضية في لحظاتٍ سريعةٍ: صورًا قاتمة خاطئة وفراغها مخيف، لم يكن فيها أي نور من أية ناحية، ولا راحة ولا لحظة من الشعور بالسلام!

لقد أثارت ذكرى حياتي الماضية فيَّ شعورًا من الحزن العميق، ولم أعُد أحتمل هذا الحزن عندما رنّت في ربوع الكنيسة التسبحة الشيروبيمية المهيبة لتبشّر بأسمى لحظةٍ في الليتورجية الإلهية (القداس)، وحينئذٍ كأنّ شيئًا قد انفجر في داخلي، كأنّ شيئًا انتُزع من صدري، فضبطتُ قلبي، أمّا عينيَّ فلم أستطع أن أضبطهما لأنهما صارتا مثل خزان ماء انفجرت منهما الدموع وشعرتُ كأنّ ملاكًا ينظِّف نفسي الملوثة تنظيفًا كاملاً. لقد سالت دموعي فوق قروحي المفتوحة، في حين أنّ نفسي أنشدت: "المجد لك يا رب، المجد لك"! ولما خرجتُ من الكنيسة شعرتُ بخفّةٍ وسلامٍ وتعزيةٍ (أو راحةٍ) روحيةٍ، وأنّ توازنًا روحيًا قد نشأ في داخلي.

وقد قضيتُ بقية وقت إقامتي في بانيا في العمل على تغيير حياتي روحيًا، فإنّ عاداتي القديمة مثل طريقة تمشيتي واستماعي للموسيقى الانحلالية (غير المحتشمة)، وغير ذلك من العادات قد هجرتها إلى الأبد! وفي بقية إجازتي الأسبوعية قضيتُ الوقت في الصلاة والقراءة والتفكُّر في كل ما حدث لي.

ولما عدتُ إلى بيتي أوقفتُ قراءة الفنجان والنكات غير اللائقة، والانغماس في الأحاديث الباطلة، وواصلتُ كوني ودودًا وبشوشًا مع الناس، ولكنني صرتُ أفضّل الابتعاد عن التجمُّعات. وكان اختباري (أي رؤيتي) معي دائمًا، وكان حاضرًا في قلبي وذهني على الدوام كلام الرسول بطرس أنني ينبغي أن أستغل بقية حياتي لأجل خلاص نفسي. وكنتُ حريصًا جدًا ألاّ أقول أي شيء عن اختباري لأي واحدٍ قبل انقضاء الثلاثة أشهر.

لم أستطع أن أنام في الليالي، بل كنتُ أقوم وأصرخ (في الصلاة) وأقرأ في كتاب الصلاة، وكنتُ أمينًا جدًا في صومي، وفي مساء كل يوم من أيام الأربعاء والجمعة كنتُ أطلب من

زوجتي أن تعِدَّ لي طعامًا صياميًا، أمّا هي وابني فهما حرَّان أن يأكلا ما يريدانه.

ومن العجيب أنه طوال ذلك الوقت لم تسألني زوجتي ولا مرة واحدة لماذا بدأتُ أصوم منذ أن عُدتُ من بانيا! والمرة الأولى التي سألتني فيها كانت قبل انتهاء مدة الأشهر الثلاثة بيومين، فعند الغذاء سألتني حينئذٍ: "ماذا حدث لك؟ إنك منذ ثلاثة أشهر قد أصبحت إنسانًا مختلفًا، إنني لا أكاد أتعرّف عليك أنت الذي تزوجتك منذ 18 سنة ولم تصُم فيها ولا يومًا واحدًا. ولم تعُد تقرأ الفنجان أو تقص علينا فكاهاتك مرةً أخرى، وقد توقفتَ عن دعوة النساء من جاراتنا للتجمعات (أو السهرات) المؤنسة بعد أن كنتَ أنت المضياف الرئيسي. ثم ما الذي منعني أن أسألك طوال هذه المدة التي كنتُ فيها أُعِدُّ لك طعامك بطريقةٍ مختلفةٍ عنا"؟! إنّ قدرة الله، طبعًا، هي التي منعت زوجتي من أن تسألني حتى انتهت الثلاثة أشهر، فأخبرتها أنني سأقصّ عليها كل شيء بعد يومين.

وبعد يومين جلس كلٌ من زوجتي وأختها وابني لينصتوا إلى قصتي حيث أخبرتهم بكل شيء بحسب ترتيب حدوثه، فاندهشوا وامتلأوا بالعجب، وقد صدّقوا كل ما أخبرتهم به، ثم أنني بدون أن أسألهم عن رأيهم قلتُ لهم: "من الآن فصاعدًا عليكم ألاّ تستعملوا كلام القسَم (الحلفان)، وأنصحكم أن تصلُّوا لله وتذهبوا إلى الكنيسة بانتظام، وأخبركم أننا منذ الآن سنحتفل بعيد شفيعتنا القديسة بتكا، وإنني أنصحكم وأتوسل إليكم أيضًا أن تحفظوا الأصوام وأن تتناولوا، ولا تتذمّروا عليَّ عندما أصوم يومي الأربعاء والجمعة وجميع الأصوام الأخرى، ولا تقاطعوني أو تشوِّشوا على صلواتي في البيت".

فوعد كلٌ من زوجتي وابني بأنهما سيمتنعان عن الحلف، وأن يؤمنا بالله، وأنهما سيرشما الصليب قبل الأكل وبعده وقبل النوم، وأنهما سيحتفلا بالـ Slava (عيد شفيعتنا). ولكنهما لم يوافقا على جميع الأصوام ولا على حضور جميع صلوات الكنيسة ولا على الصلاة كل صباح

ومســاء. وقالت زوجتي إنها ســتتناول مرة واحدة في الســنة، وأنّ كلاً منهما ســيصــوم يوم الجمعة العظيمة ويوم تذكار الصــليب المعطي الحياة وذكرى اســتشــهاد يوحنا المعمدان. فلم أشــأ أن أضغط عليهما ليكونا أكثر غيرةً إن لم يتأتّى ذلك من حرية إرادتهما.

**فرحة وسعادة الاعتراف والتناول لأول مرة:**

بعد ذلك بأيامٍ قليلة قمتُ برحلةٍ إلى دير زيتشــا لكي أعترف وأتناول. وقبل ذهابي فكّرتُ كثيرًا بخصــوص الكنيســة التي أفعل فيها ذلك، ثم انتهيتُ إلى أنه من الأفضــل أن أذهب إلى زيتشــا لأنّ هذا هو المكان الذي حدث فيه اختباري. ولما وصــلتُ إلى هناك طلبتُ من إحدى الراهبات أن تُخبر عني الأسقف باسيليوس بأنني أريد أن أعترف وأنال سر الشركة المقدس، وبأنني شــعرتُ باحتياجي أن أعترف أمامه، ورويتُ لها باختصــار شــديدٍ كل ما حدث معي، وطلبتُ منها أن ترجو الأسقف لأجل ذلك أن يقابلني.

كان الأســقف واقفًا عندما قابلني، فانحنيتُ له وحيّيته بقولي: "ليت الله يعينني". فأجابني: "الله يُعينك يا بُنيَّ". ثم قبّلتُ الصــليب الذي في يده وقبّلتُ يده قائلاً: "باركني يا صــاحب النيافة". فأجابني: "الله يباركك يا بُنيَّ". ثم لاحظ أنني كنتُ مضطربًا فقدّم لي كرسيًا بلطفٍ، ثم ســألني: "أين وُلِدت"؟ فأجبتُ بأنني وُلِدتُ في "زاكوتا" ولكنني أعيش منذ زمن في "كراجويفاك". فابتســم بلطفٍ وقال: "إنك وُلِدتَ في إيبارشــيتي". وفي حديثٍ لاحق ســألني الأســقف إن كانت لي أســرة وعن مكان عملي، ثم طلب مني أن أقصّ عليه اختباري ببطء وبدون تسرُّع أو انفعال، فأخبرته بكل شيء كما حدث لي تمامًا. وبينما كنتُ أكلّمه كان ينظر إليَّ باهتمامٍ وينصت بانتباهٍ، وكان أحيانًا يرشــم نفســه بالصــليب، وكان متعجبًا، وكثيرًا ما شــكر الله على رحمته وعلى هذه العطية التي منحها لي قائلاً: "يا رب ارحم، يا رب ارحم". وأيضًا: "عظيمةٌ هي رحمتك وقوتك وقدرتك"!

ولما ختمتُ قصــتي أخبرني بأنه يســتطيع أن يحكم بناءً عليها أنه يظهر أنني في وقت رؤيتي هذه **كنتُ في حالة موت** (أي أنّ **الروح انفصــلت عن الجســد** وطافت حيثما قادها الملاك)! ثم قال لي: "والآن دعني أسـألك: هل أنت مسـتعدٌّ روحيًا للاعتراف"؟ ولما كان جوابي بالإيجاب طلب مني أن أقبِّل الصــليب والأيقونة وأن أركع، ثم غطّى وجهي بالبطرشــيل (أو صُــدرته) وقال: "يا دوزان يابُنيَّ، اِعترف الآن بكل خطاياك ولا تُخف أيّة واحدةٍ منها، سـأصـغي إليك ثم بعد ذلك أتلو عليك صــلوات الغفران (الحلّ)، ثم تنال ســر الشــركة المقدس جســد ودم المسيح الرب الذي سيغفر لك خطاياك. تكلّم بحرّيّة عن جميع خطاياك التي ارتكبتها بالفعل أو بالقول أو بالفكر على مدى حياتك حتى هذه اللحظة، لا تخف من أن أخبر أحدًا بخطاياك فإنّ الرب وأنا وحدنا اللذان سنعلم بها، لأننا نحن الذين نأخذ الاعترافات مجبَرين أن نحتفظ بها سرًّا".

جعلتني هذه الكلمات في ثقةٍ وطمأنينةٍ، فأخبرته بجميع خطاياي. وأثناء الاعتراف بدأتُ أصرخ وأبكي بتشنُّج متوسلاً إلى الرب أن يغفر لي، وإلى والدة الإله لأنني نطقت بكلماتٍ تنطوي على شــتيمةٍ ضــدّها وضــدّ الرب أيضًــا. وبعد أن اعترفتُ بكل ما أعرفه عن خطاياي، تلى الأسـقف صـلوات على رأسـي لمدةٍ طويلةٍ، وكثيرًا ما توقف ليسـألني إن كنتُ نادمًا وتائبًا عن جميع خطاياي، فمن وســط دموعي كنتُ أجيبه بأنني تُبتُ من أعماق قلبي ونفســي، ووعدتُ أنني سـأراقب نفسـي في المسـتقبل حتى لا أرتكب أية خطية. ولما انتهى الأسـقف من الصـلوات رفع البطرشـيل من على رأسـي وقبّلتُ الصـليب والأيقونة مرةً أخرى، ثم دهنني الأسـقف وقرأ صلاةً أخرى قبل التناول[12].

(12) يبدو أنه سُهِيَ عليه هنا أن يذكر أنه تعمّد.

بعد أن تناولتُ من سر الشركة المقدس شعرتُ بحرارةٍ وخفةٍ (من ثقل الخطية) لا يمكن وصفهما. إنها حالة يبلغ إليها الإنسان فقط بعد اعترافٍ حقيقي وجدّي، وهذه الحالة تملأ الإنسان بالسعادة والفرح والقناعة (أو الشبع والاكتفاء) وشعور بالسلام. ولما أخبرتُ الأسقف بمشاعري هذه قال لي: "يا دوزان يابُنيَّ، **هذه علامة على أنّ الرب قد غفر لك جميع خطاياك** التي فعلتها حتى الآن، ومن اليوم لا تُخطئ مرةً أخرى. لقد سمعتَ ورأيتَ أمورًا عظيمة، وأنا أعتقد أنه لا يمكن لشيء من الآن أن يضلِّلك، ولذلك فأنت إنسان مبارك"!

وفي النهاية قدّم لي الأسقف نصائح كثيرة، وقال لي أن أفكر كثيرًا في الموت لأنّ ذكر الموت يلاشي ميولنا إلى الخطية، كما أشار عليَّ ألاّ أخاف من قصر حياتي الأرضية، وهي نفس النصيحة التي تلقيتها من كلٍّ من الرسول بطرس ورئيس الملائكة جبرائيل، لأنهما يعتبران هذه الحياة قصيرة جدًا بالنسبة للأبدية، فحتى لو عشتُ إلى عمر مائة سنة ينبغي أن أصلِّي كل يوم كأنه آخر يوم لي على الأرض!

لقد كان فرحي فائقًا لأنني برحمة الله عُدتُ إلى حياة الإيمان، ولأنني أستطيع أن أشكر الرب بكل قلبي وروحي على كل مكافآته وتحذيراته وحتى عقوباته التي يوجهها لي بحكمته المقدسة ... وأطلب من الرب أنّ كل مَنْ يتعرّف على ولادتي الروحية الجديدة يصدِّق روايتي عنها، وأن تعينني هذه الرواية وولادتي الجديدة على اكتشاف الطريق الحقيقي لخلاص النفوس.

يباركك الله ويمنحك سلام ربنا يسوع المسيح، آمين.